رد على هؤلاء آخرون بحجة يبدو أنها تستند إلى استقراء الاستعمالات العربية المختلفة وهي القاعدة اللغوية الخاصة بسياق النفي يقول ابن الأنباري [1]: «وقال سهل السجستاني: معنى قوله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾[2] فمن كان يخاف لقاء ربه.

وهذا عندنا غلط لأن العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف إلا مع حروف الجحد». ثم ذكر أن بعض قبائلهم يقول «لم أرجُ يريدون لم أبالِ».

وسواءً أكان الرجاء يأتي بمعنى الخوف في السياقات المنفية فقط أم المنفية والمثبتة جميعًا، فالسؤال يبقى قائمًا، ما الرابط ـ ولابد أن ثمة رابطًا ـ الذي يجعل اللفظين يستعملان كمترادفين أحيانًا؟ خاصة وأننا سنجد فيما بعد نصوصًا استعمل فيها الخوف بمعنى الرجاء، مما يدل أن ثمة تبادلاً في الاستعمال بين هذه الألفاظ، أي أنه لابد من وجود مساحات دلالية مشتركة بينها، فما هي هذه المساحات؟

نحتاج الآن إلى التوقف بعض الوقت لقراءة بعض النصوص التي قد تلقي الضوء على أبعاد دلالية أخرى لهذه الألفاظ وتمدنا بمزيد من السياقات التي يعين تكاملها على الكشف عن هذه العلاقات المتشابكة.

أولاً نقرأ نصًا من كتاب «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، يقول ابن الجوزي[3]: «قال ابن فارس اللغوي: الرجاء بالمد: الأمل. يقال: رجوت الأمر أرجوه رجاءً وارتجيته أرتجيه... وربما عبر عن الخوف بالرجاء، وناسٌ من أهل اللغة يقولون: ما أرجو، أي ما أبالي، وأنشدوا:

* إذا لسعته النحلُ لم يَرْجُ لسْعَهَا *

أي لم يكترث له. وذكر أهل التفسير بأن الرجاء في القرآن على وجهين:

أحدهما: الأمل.

ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾[4] وفي بني إسرائيل ﴿ويرجون رحمته﴾[5] وهذا الأعم بالقرآن.

---

(١) الأضداد: ص١٧.
(٢) الكهف: ١١٠
(٣) نزهة: ص٣٠٧.
(٤) البقرة: ٢١٨.
(٥) الإسراء: ٥٧.